جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

الدراسات الاولية الصباحية والمسائية/ ٢٠٢٤-٢٠٢٥

المرحلة الثانية / مادة مناهج المحدثين

عنوان المحاضرة / **أثر النفس الفقهي للبخاري في تصنيفه الصحيح**

مدرس المادة : أ.د. خالد مصطفى محمد هزاع

***** ترجمة موجزة للبخاري واتجاهه الفقهي**

هو أمير المؤمنين وإمام المحدثين الحافظ الفقيه أبو عبد الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، وُلد يوم الجمعة الرابع من شوال سنة ١٩٤هـ، اهتم بالعلم منذ صغره، ورحل الى الآفاق في طلب الحديث ولقاء الشيوخ، كتب عن أكثر من ألف شيخ، ابتدأ بالتأليف وعمره ثماني عشرة سنة، رُوي عه أنه قال:لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله للحديث إن كان الرجل فهما، فإن لن يكن سألته أن يُخرج إليّ أصله ونُسخته فأما الآخرون فلا يبالون ما يكتبون وكيف يكتبون

شهد له علماء الإسلام ممن عاصره ومن جاء بعده بالتفوق في معرفة الحديث وحفظه والخبرة العالية في تمييز علله، ويؤكد ذلك جهده في تصنيف الجامع الصحيح وغيره من الكتب النافعة

قال ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل"

وقال أحمد بن حنبل: " ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل "

وقال نُعيم بن حماد: " محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة "

من كلماته: "ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها فما تركت بها حديثا صحيحا إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي"

وقال: "أرجو أن القى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا"

توفي رحمه الله ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومئتين

اتجاهـــه الفقهـــي: يُعـــدّ الإمـــام البخاري رائد النزعة الفقهية والاستنباط عند المصنفين من المحدثين وذلك من خلال منهجه في تصنيف كتابه الجامع الصحيح حيث أبرز في هذا الكتاب براعته في الأصول والفقه وفهم مقاصد الشريعة، وأبان عن قدرة واضـــحة فـــي الربط بين المتشابهات والتصنيف بطريقة تُظهر الانسجام والتكامل بين المـــباحث، وأبـــرز آراءه الفقهـــية وفهمه لمعاني النصوص ببراعة واضحة لم يُسبَق لمثلها، وذلك من خلال تقسيمه للكتاب إلى كتب وأبواب جامعة انتقاها بعناية شملت كل أبـــواب الـــدين ورتبها ترتيبا متناسقا، كما أثّر الاتجاه الفقهي عند البخاري في طريقة ترتيب الكتب والأبواب وكذا ترتيب الأحاديث في الباب الواحد

*** الجوانب التي تميز بها صحيح البخاري بسبب نفسه الفقهي

كان الاهتمام الفقهي عند البخاري سببا في بروز أربع ظواهر في كتابه وهي:

١- تراجم الأبواب

٢- التعليق

٣- التكرار

٤- الاختصار وتقطيع الحديث الواحد.

*** منهج الامام البخاري في تراجم الابواب

اشتهر عند العلماء أن فقه الإمام البخاري في تراجمه وذلك لما امتاز به من دقة فـــي وضـــع العـــناوين، وما أودعه فيها من فقه وعلم، وبما اشتملت عليه من دقة في الاستنباط وكثرة الفوائد

وقد وجد العلماء أن تراجم البخاري تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التراجم الظاهرة

وهـــي التي تكون واضحة ومطابقة لما يورد البخاري أثناء الباب من أحاديث، وفائـــدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب فتكون الأحاديث التي ساقها أدلة على العنوان الذي ترجم به للباب

تنقسم تراجم البخاري باعتبار دلالتها على ما تضمنته من احاديث الى تراجم ظاهرة المناسبة والدلالة وتراجم خفية المناسبة والدلالة، وفيما يلي بيان ذلك

القسم الأول: التراجم الظاهرة

وهـــي التي تكون واضحة ومطابقة لما يورد البخاري أثناء الباب من أحاديث، وفائـــدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب فتكون الأحاديث التي ساقها أدلة على العنوان الذي ترجم به للباب

وقـــد تكون الترجمة: بلفظ الحديث الذي ساقه، أو ببعض لفظه، أو بمعناه، أو بصـــيغة خبرية عامة، أو بصيغة خبرية خاصة، أو بصيغة استفهام، أو بآية قرآنية، أو بحـــديث ليس على شرطه، أو أن يأتي في الترجمة بآثار عن الصحابة فمن بعدهم، أو بمـــذهب ذهـــب إليه بعض العلماء، فيقول باب من قال كذا، أو يترجم بعبارة شرطية محذوفة الجواب.

فمن التراجم الظاهرة فوائد الترجمة بمعنى الحديث

وفائـــدة جعل لفظ الحديث أو بعضه أو معناه ترجمة – إعلام أن المصنف قائل بذلك الحديث ذاهب إليه، وأنه نص في المسألة لا ينبغي العدول عنه.

ومن التراجم الظاهرة فوائد الترجمة بصيغة الاستفهام حيث يصدر ترجمة الباب بأداة استفهام

وذلك أن تكون الترجمة مصدّرة بكلمة استفهام، مثل: أين، هل، كم، ونحو ذلك، وهـــنا تكون مسألة الباب موضع خلاف بين أهل العلم تحتاج للبحث والترجيح ويكون اختـــيار الـــبخاري هو ما ساقه من الحديث لأن دلالته ظاهرة في الجواب على سؤال الترجمة.

وقد يستعمل البخاري صيغة الاستفهام في الترجمة حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين، وربما كان أحد المحتملين أظهر، وغرضه أن يبقى للنظر مجالا

ومن التراجم الظاهرة فوائد الترجمة بآية قرآنية

فـــيجعل الآية عنوانا للباب أو جزءا من عنوان الباب، ويهدف البخاري من هذا المســـلك إلـــى بـــيان معنـــى الآية أو الاستدلال بها لمسألة معينة فيتقوى حكم المسألة بأحاديث الباب إضافة إلى دلالة الآية.

ومن التراجم الظاهرة الترجمة بحديث ليس على شرطه

فيذكـــر في الترجمة حديثاً مرفوعاً لكنه ليس على شرط البخاري وإنما تشهد له أحاديث أخرى بمعناه يوردها تحت الترجمة:

وأوضـــح الحـــافظ في موضع آخر: أن البخاري ربما اكتفى بلفظ الترجمة التي هـــي لفـــظ حديث لم يصح على شرطه وأورد معها أثراً أو آية فقط، – دون أن يذكر حديثا – فكأنه يقول: لم يصح في الباب شيء على شرطي (٢) ..

ومن التراجم الظاهرة الترجمة بحديث سبق تخريجه

والسبب في ذلك أن من عادة الإمام البخاري أن لا يكرر حديثا دون فائدة جديدة فـــي الســـند أو المـــتن، فإذا ضاق عليه الأمر فإنه يعلّق الحديث المكرر أو يجعله في ترجمة باب.

ومن التراجم الظاهرة الترجمة بما ذهب إليه بعض العلماء في المسائل الخلافية فما يورده من احاديث تبين مذهبه واختياره في المسألة

فيذكر في الباب ما يدل على هذا المذهب، وينبه على ثبوته واختياره له، فيقول في الترجمة: باب من قال كذا، أو نحو هذا

مثال ذلك: قوله في كتاب الصلاة: " باب من قال لا يقطع الصلاة شيء"،ثم ساق بإسناده حديث عائشة أنه ذكر عندها ما يقطع الصلاة: الكلب والحمار والمرأة، فقالت: شبّهتمونا بالحمر والكلاب، والله لقد رأيت النبي ﷺ يصلي وإني على السرير بينه وبين القـــبلة مضـــطجعة فتـــبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس فأوذي النبي ﷺ فأنسل من عند رجليه " (١)

فالـــبخاري رحمـــه الله أشار إلى اختياره وهو أنه لا يقطع الصلاة شيء، وهو مـــذهب عائشـــة وبعـــض الفقهـــاء ؛ وقد ذهب البعض إلى أنه يقطع الصلاة: "الكلب والحمـــار والمـــرأة"، وبعضهم قال يقطعها: "الكلب الأسود فقط"، وبعضهم فسّر القطع بقطع الخشوع، فالمسألة خلافية، أراد البخاري أن ينبه على ذلك وصرح بالراجح عنده من خلال الحديث الذي ساقه.

ونلحـــظ أنه ترجم للباب بجملة رُويت مرفوعة لكن بإسناد ضعيف، لكنها ثبتت عن بعض الصحابة موقوفة مما يؤكد ترجيحه واختياره لهذا القول (٢)

مما سبق يتضح لنا أنَّ مذهب البخاري واختياراته الفقهية تكمن في تراجمه إذ اودعها الكثير من فتواه وما يراه ويرجحه من اقوال الأئمة الفقهاء في

ويُعـــرف اختـــياره من الآثار التي يوردها في التراجم، وقد نص على ذلك ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب في كم تصلي المرأة من ثياب، فقال: إن اختياره يؤخذ في العادة من الآثار التي يودعها في الترجمة(٣)